Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 14, Sep. 2019

Published online in September

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الرابع عشر، سبتمبر 2019م

الحياة الاجتماعية والموارد الاقتصادية لبلاد السودان الغربي في العصر الوسيط من خلال رحلة ابن بطوطة

فتحي علي مخزوم احجيبة

قسم التاريخ – كلية التربية جامعة مصراتة

famtml@gmail.com

الملخص

تعد رحلة ابن بطوطة لبلاد السودان الغربي (غرب أفريقيا) صورة واضحة، ودقيقة للمجتمع السوداني في العصر الوسيط، فقد قدم من خلالها وصفاً دقيقاً لحياة سكان الإقليم، وأهم موارده الاقتصادية، فكان ما قدمه من معلومات شهادة تنبض بالحياة على المجتمع الأفريقي، وأشهر عاداته وتقاليده، ومدى انتشار الإسلام فيه، وتواصله الحضاري مع بلاد المغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: **الحياة الاجتماعية، الموارد الاقتصادية، السودان، رحلة ابن بطوطة**

The Social life and the Economic Resources of Western Sudan in the Middle Ages through Ibn Battuta's Journey

Abstract

Ibn Battota's journey to the wetern Sudan is a clear and accurate picture of Sudanese society in the Middle ages. It provided an accurate description of the life of the people of the region and its most important economic resources. The information provided was a testimony to the life of African society, Islam in it, and its civilizatianal continuity with the Islamic Maghreb.

Keywords: Social life, economic resources, Sudan, Ibn Battuta trip.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين.

وبعد ...

تُعد رحلة ابن بطوطة لبلاد السودان الغربي صورة واضحة ووصفاً دقيقاً للمجتمع السوداني في عصره الوسيط بالنسبة للمناطق التي زارها، فذكر عاداتهم وتقاليدهم وأهم مواردهم الاقتصادية ومدى انتشار الإسلام بينهم، فكان ما قدمه شهادة تنبض بالحياة على سكان المنطقة.

قدم الرّحالة العرب وعلى رأسهم ابن بطوطة معلومات قيمة عن مجاهل أفريقيا جنوب الصحراء والتي لم تكن معلومة قبلهم للمنطقة زمن الفينيقيين والإغريق والرومان، الذين يعتبرون كل ماوراء الصحراء أرضاً مجهولة مرعبة، فكان ما اكتشفه الرحالة المسلمون حجراً أساساً لاكتشافات حديثة قدمها الرّحالة الأوروبيون الذين قسّموا الأقاليم السودانية إلى ثلاثة أقسام، وأطلقوا على منطقة نهري النيجر والسنغال اسم السودان الغربي، بعد أن وضحت المعالم الجغرافية للمنطقة في القرن الثامن عشر.

حفظ لنا التاريخ من خلال رحلة ابن بطوطة معلومات قيمة، لا يستغني عنها أي باحث عن المنطقة، فهي تعد أساساً متيناً لأي دراسات أفريقية للمنطقة في العصر الوسيط.

أولاً: تعريف الرحلة لغة واصطلاحاً

"الرِّحلةُ بالكسر والضم لغةٌ، اسم من الارتحال، فالرحلةُ بالكسر: اسمٌ من الارتِحالِ، وبالضمّ الشيءُ يُرْتَحَل إليه، يُقال قرُبتْ رِحْلتُنا بالكسرِ وأَنْتَ رُحْلَتُنا بالضم، أي: القصد الذي يُقصد ...، والرَّحْلُ: كُلّ شيءٍ يُعدُّ للرَّحيلِ من وعاءٍ للمتاع ومَركبٍ للبعيرِ وحِلْسٍ ودَسنٍ، وجمعه: أرحُلٌ ورحالٌ ... والراحِلةُ: المرِكبُ من الإبِلِ ذكراً كان أو أنثى، وبعضهم يقُولُ: الرّاحِلة: الناقة التي تصلُح أن تُرحَلَ، وجمعُها: رواحِلُ: وأرحَلْتُ فُلاناً، بالألفِ: أعطيتُه راحِلةٌ، والمرْحَلَة: المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يومٍ، والجمعُ المراحلُ ". (المقري، 2008 م، ص142).

واصطلاحاً عرفت الرحلة بأنها الانتقال من مكان إلى آخر لإقامة الشعائر الدينية أو لغرض المعرفة وطلب العلم، أو البحث عن الرزق وغيرها من أسباب الارتحال (خليل، 2005 م، ص33).

ثانياً: الرحلة في القرآن والسنة:

ذُكرت الرحلة في القرآن الكريم بأنواع متعددة، فهناك الرحلة التجارية، والرحلة العلمية، والرحلة الدينية لنشر الدعوة وإقامة الشعائر الدينية أو الفرار بالدين؛ والنص القرآني الوحيد الذي جاء فيه ذِكْرُ كلمة رحلة جلية واضحة كان في رحلتي قريش التجاريتين إلى بلاد الشام واليمن قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭽ (قريش: 1-5).

تنوعت الرحلات في نصوص قرآنية مختلفة، فهناك الرحلة في طلب العلم، كرحلة نبي الله موسى برفقة الخضر – عليهما السلام – بنص قرآني صريح على لسان موسى – عليه السلام – قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭽ (الكهف: 65).

كذلك كانت الرحلة الدينية لحج بيت الله الحرام، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭽ (الحج: 25)

وهناك الرحلة التي تكون فراراً من الظلم وبلاد الشرك حفاظاً على الدين، كهجرتي الحبشة في العام الخامس للبعثة والهجرة للمدينة المنورة في العام الثالث عشر للبعثة (المقريزي، 1981 م، ج1 ص ص45،48،59،61)، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭽ (النساء: 100)، وقد تكون الرحلة في طلب الرزق والسعي من أجله، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭽ (الملك: 16).

وحث القرآن الكريم المسلمين على الترحال والمعرفة العلمية؛ وذلك بالتأمل في ملكوت السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، حركة الأجرام السماوية الأمر الذي أدى إلى تقدم المعرفة الجغرافية في العالم الإسلامي (غرايبة، 2009 م، ص9)، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭽ (الحج: 46).

وفي السنة النبوية المطهرة وردت أحاديث تدعو إلى الرحلة في طلب العلم، فقد ورد عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – حديثاً عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : " من خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع" (النووي، 2007م، ص335).

ثالثاً: أصل التسمية لبلاد السودان وحدوده الجغرافية

إن القصد من كلمة السودان هو وصف للشعوب ذات اللون الأسود (أبو القاسم، د.ت، ص3)، والذين ربما يرجع نسبهم إلى حام بن نوح، عليه السلام. (ابن الجوزي، 1998 م، ص34؛ ابن خلدون، 2000م، ج6ص264)، وهم أقوام سكنوا المنطقة الواقعة جنوب الحزام الصحراوي الفاصل بينهم وبين شمال أفريقيا، وهو ما يعرف الآن بالصحراء الكبرى، وهي منطقة شاسعة حُددت جغرافياً على أن شمالها ينتهي بأرض البربر، وجنوبها إلى براري شاسعة، وشرقها إلى بلاد الحبشة، وغربها يصل إلى البحر المحيط – المحيط الأطلسي (القزويني، 1998م، ص24).

قُسمت المنطقة على ثلاث أقاليم جغرافية (شرقاً – أوسط – غربي)، وما يهمنا في هذه الدراسة هو الإقليم الغربي؛ وهو ما يعرف بالسودان الغربي، وهي منطقة واسعة بين الصحراء الكبرى شمالاً، وحدود تشاد شرقاً، ومن الجنوب الشرقي لجبال الكميرون حتى المحيط الأطلسي الذي يلف المنطقة من جهتي الجنوب والغرب (باري كريديه، 2007 م، ص20؛ إبراهيم، 1998 م، ص64).

عُرف إقليم السودان الغربي حديثاً باسم (غرب أفريقيا) وهو يحتوي على مجموعة دول أهمها (بوركينا فاسو، غامبيا، غانا، سيراليون، الكونغو، السنغال، موريتانيا– مالي، النيجر، تشاد). (باري وكريدية، 1998 م، ص64)، والملحقان (2–1)، (2–2) يوضحا أقاليم السودان الغربي وشبكة الطرق الواصلة بينه وبين شمال أفريقيا.

رابعاً: انتشار الإسلام في المنطقة

بعد أن أصبح للمسلمين قاعدة متينة في شمال أفريقيا منذ القرن الأول الهجري؛ عبروا بإيمانهم جنوباً الصحراء الكبرى إلى مناطق متعددة من بلاد السودان (علي، 2013م، ص64)، وقد كان للدول التي قامت في بلاد المغرب الأقصى دور ملموس في نشره بتلك البقاع كالمرابطين (453–541 هـ /

1061-1147) ومن بعدهم الموحدين (514-668 هـ / 1120-1270 م)، بالإضافة للدور الجهادي كان دور الدعاة والمعلمين (الشاوي، 2013 م، ص195؛ زيادية، د.ت، ص 228)، والتجار (زيادة، 1991م، ص309)، والطرق الصوفية في نشر الإسلام في المنطقة، ونتج عن هذا التواصل تسامح وتعايش سلمي في المنطقة، كان له أثر اجتماعي وثقافي وحضاري وديني (الشاوي، 2013 م، ص177)، كذلك انتشرت في المنطقة اللغة العربية بجانب اللغة الأصلية للمنطقة، وهي لغة الهوسا (باري، 2007 م، ص ص26-27).

قامت في إقليم السودان الغربي عدد من الممالك؛ قُدر عددها بحوالي خمس عشرة مملكة، يقع أغلبها بالقرب من نهر النيجر أو أحد روافده، أهمها غانا ومالي وصنغاي، وبرنو وكانم (الجمل، 1975م، ص266؛ زيادة، 1991 م، ص318).

خامساً: التعريف بصاحب الرحلة

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المكنى بـ (ابن بطوطة)، يرجع نسبه إلى قبيلة لواته البربرية، ولد في مدينة طنجة المغربية، وذلك يوم الاثنين 17 رجب سنة 703 هـ، الموافق 24 فبراير سنة 1304م، وفيها درس الأدب والفقه (ابن بطوطة، 2003 م، ص9؛ ضيف، 1956م، ص97؛ حسن، 2008 م، ص110؛ مؤنس، د.ت، ص16)، وعند بلوغه سن الثانية والعشرين خرج من مدينته ومسقط رأسه لأداء فريضة الحج، وذلك يوم الخميس الثاني من رجب من العام 725 هـ / 1324 م (ابن بطوطة، 2003م، ص9؛ كراتشكوفسكي، 1963م، ج1 ص422)، فكان الحج من أعظم أسباب الرحلات عند الرحالة المسلمين (حسن، د.ت، ص7).

إن الدافع الديني هو المحرك الأساسي للرحلة، بالإضافة إلى حبه للمغامرة وتعطشه للمعرفة، ورغبة منه في التقصي والاستكشاف ،فهو محب للسياحة والجولان كما وصف نفسه (ابن بطوطة، 2003 م، ص15).

استطاع ابن بطوطة من خلال رحلته معرفة الكثير عن عادات وطباع الشعوب التي زارها، ففي طريقه إلى الأراضي الحجازية المقدسة مرّ على بلدان المغرب الإسلامي ومصر، وزار فيها مكة أربع مرات في

فترات متقطعة، كذلك زار الشام والعراق وجنوب شبه الجزيرة العربية، والقرن الأفريقي، وبلاد الأناضول، والقسطنطينية، وبلاد البلغار، وبلاد فارس، وخوارزم ،وخراسان، والهند، وجزيرة سيرلانكا وشبه جزيرة الملايو، وجزر المالديف، ووصل بترحاله حتى الصين، وكانت رحلته الثانية جهادية للأندلس، ورحلته الأخيرة زار فيها بلاد السودان الغربي – غرب أفريقيا – (كردي، 2013 م، ص ص65-66؛ الفيل، 1979 م، ص19؛ البدوي، 2014 م، ص404)؛ والملحق (2-3) يوضح طريق رحلة ابن بطوطة.

قدم من خلال رحلته معلومات تاريخية وجغرافية عن الشرق الاقصى غير معروفة من قبل، ووسط آسيا وبلاد الأناضول وغرب أفريقيا فنقل لنا مشاهداته، وقدم لنا وصفاً دقيقاً عن عادات الشعوب التي زارها وتقاليد وملابس وطعام (حسين، 1983 م، ص41)، وقدرت المسافة التي قطعها في ترحاله بحوالي 75000 ميل (الفيل، 1979 م، ص19؛ حسن، د.ت، ص121)، في مدة قدرها حوالي ثمانية وعشرين عاما (حسين، 1983 م، ص38)، والملحق (1-1) يوضح المسافة التي قطعها ابن بطوطة في رحلته بالكيلو متر.

قضى ابن بطوطة شطراً من حياته قاضياً في مدينة فاس، خصص فيها جزءًا من وقته يروي على الناس في مسجدها ما شاهده من غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار بما أسعفته به ذاكرته (قنديل، 2002 م ، ص490).

كانت رواياته عن رحلته وصفاً دقيقاً للمجتمعات والأماكن التي زارها، فوصل الوصف الجميل إلى مسامع السلطان المريني أبي عنان ، فاستدعاه إلى مجلسه في حاضرته – فاس – وأمره بتدوين رحلته، وبناء على ما أشار من وزيره أبي عبد الله الوطاسي (مؤنس، د.ت، ص11)، وأمر كاتبه الأديب البارع ابن جزي بتقييدها، الذي ابدع، في عمله، وذلك بأن استلم الرواية من مصدرها وأضاف إليها إبداعاته الأدبية بأن تصدرها بمقدمة سجعية من صنع أفكاره، وأضاف إليها اقتباسات من رحلة ابن جبير، وفصل في المتن بين إضافاته والرواية بعبارة " قال ابن جزي " مما يدل على أمانته، ولكي يسهل على القارئ التميز بين الأصل والإضافة (حسين، 1983 م، ص49؛ Goud,2014,P36)، والملحقان (1-2) (1-3) تعريفان لأبي عنان وابن جزي.

إن الغريب في رحلة ابن بطوطة هو مشاركة الأديب ابن جزي في تقييدها، وهذا ما يدعو للاستغراب، الأمر الذي يدفعنا إلى السؤال، لماذا لم يكتب ابن بطوطة رحلته بنفسه؟ هل كان السبب ضعفه الأدبي واللغوي باعتباره أمازيغياً، قد لا يتقن اللغة العربية جيداً(حسين، 1983 م، ص ص37-38)، أم كان خوف أبي عنان من المبالغة في أحداث القصة فجعل مقيماً لها، فوكّل ابن جزي لهذا الأمر لإخراجها بأسلوبه الأدبي الرصين (حسين، 1983م، ص48)، فقيدها، ثم قدم ملخصاً بتقييده، وذلك من خلال ما ذكر بقوله: " انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة ، أكرمه الله " (ابن بطوطة، 1998م، ص701)، وبالتالي هناك معلومات كثيرة فُقدت من النص الأول المقيد للرحلة.

كل الاحتمالات واردة بالأمر، ومن وجهة نظري أنه تم الاستعانة بابن جزي نظراً لكونه كاتباً للسلطان ولثقافته الواسعة في علم اللغة والأدب، الأمر الذي يتم به إخراجها بأسلوب أدبي ولغوي رصين، على الرغم من الانتقادات الموجهة إليه بإلغاء جزء كبير من الرحلة، خاصة زيارته للأراضي الحجازية المقدسة، فلم يُرضه حديث ابن بطوطة عنها، واستعاض عنها بنصوص من رحلة ابن جبير الذي زارها قبل ابن بطوطة بأكثر من قرن من عمر الزمان (مؤنس، د.ت، ص12).

والغريب في الأمر أن الرحالة قد أملى رحلته بما احتفظ به في ذاكرته التي جمعت أحداثاً مر عليها أكثر من ربع قرن، فلم يكن بحوزته مذكرات لها قد يرجع إليها، والسبب في ذلك عدم الكتابة أو الضياع، ولوحظ ذلك في تقطّع بعض رواياته وعدم اتصالها على الرغم مما قام به ابن جزي من جهد لمعالجتها (حسين، 1983 م، ص48).

استطاع ابن جزي إنجاز عمله في ثلاثة أشهر، فانتهى منه في ذي الحجة من العام 756 هـ، الموافق للتاسع من ديسمبر سنة 1355م، وسمّاها بـ" تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " (ابن بطوطة، 2003 م، ص381؛ ضيف، 1956 م، ص98؛ كراتشكوفسكي، 1963 م، ج1 ص424؛ مؤنس، د.ت، 237)، فكانت كتابته للرحلة متناسقة ومتماسكة وواضحة، وذكر ذلك بقوله " انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة، أكرمه الله ... وكان الفراغ من تلخيصها وتهذيبها في شهر صفر عام سبعة وخمسين وسبعمائة ... " (ابن بطوطة، 1998م، ص715) الموافق

لشهر فبراير 1356 م (مؤنس، د.ت، ص237)؛ وهي إشارة منه إلى أنه لم يأخذ كل الرحلة ؛وإنما أخذ الثمين منها وترك غثها، وتشاء حكمة الله أن تحفظ لنا هذه الرحلة واقعاً اجتماعياً ومعلماً جغرافياً، وأحداثاً تاريخية لكثير من الأمم في أواخر العصر الوسيط، وما قام به ابن جزي ربما كان خاتمة أعماله الأدبية فقد وافته المنية في نفس العام الذي أنهى فيه إخراج الرحلة بصورتها الحالية (كراتشكوفسكي، 1963 م، ج1 ص 426).

لاقت رحلة ابن بطوطة انتقادات من معاصريه، فقد اتهمه القاضي أبي البركات البلفيقي المعروف بـ (ابن الحاج) ت 771 هـ /1369 م بالكذب في رواياته فذكر أنها تدعو للاستغراب وخاصة روايته في وصف القسطنطينية بقوله: "حدثنا بغرائب مما رآه فمن ذلك أنه زعم أنه دخل القسطنطنية فرأى من كنيستها اثني عشر ألف أسقف ..." (ابن الخطيب، 1975 م، ج3ص273؛ ابن حجر، د.ت، ص763)؛ وذكر ابن حجر العسقلاني أن الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت 781 هـ / 1379 م) برأه بقوله: "ولا أعلم أحداً جال البلاد كرحلته وكان مع ذلك جواداً محسنا" (ابن حجر، د.ت ،ص763).

ولم يتحقق ابن جزي من روايات ابن بطوطة فهو للأمانة قيّد كل ما سمعه منه ثم هذبه، وذكر ذلك بقوله " وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك، ولا اختبار على أنه سلك في إسناد صحاحها أقوم المسالك ... " (ابن بطوطة، 2003 م، ص9) وأشاد العديد من المؤرخين المحدثين بالرحلة، وأثنوا عليها، واتخذوا منها موقف الواثق المصدق برواياتها (مؤنس، د.ت، ص240؛ الشاهدي، د.ت، ج1ص280).

نالت الرحلة اهتمامات المستشرقين، نظراً لما تحمله من معلومات جغرافية وتاريخية واجتماعية قيمة في العصر الوسيط، فترجمت منذ القرن الثامن عشر الميلادي إلى عدة لغات أجنبية كاللاتينية، والإنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والألمانية والتركية، (ضيف، 1956 م، ص98؛ قنديل، 2002م، ص494)، أما عن حياة الرّحالة بعد تدوين رحلته فلم تترك لنا كتب المؤرخين إلا النذر اليسير، وذُكر عنه أنه أكمل حياته

قاضياً في فاس حتى وافته المنية في العام 779 هـ / 1377 م (كراتشكوفسكي، 1963 م، ج1ص424)، وقُبر في مسقط رأسه بمدينة طنجة المغربية رحمه الله (مؤنسن د.ت، ص16).

سادساً: دوافع الرحلة

إن الموجود بين أدينا من رحلة ابن بطوطة هو ما اختصره كاتبها محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي بعد أن قيدها بأمر من السلطان المريني أبي عنان، وذلك في العام 756 هـ / 1355م، عليه فإن رحلته الأصلية ما زالت مفقودة (قنديل، 2002 م، ص494)، اللهم إلا شذرات ذكرها الزياني في كتابه الترجمانة الكبرى (الزياني 1991 م، ص610)، والذي بأيدينا ما هو إلا ملخصاً للرحلة وهو ما ذكره ابن جزي بقوله " انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة، أكرمه الله " (ابن بطوطة، 1998 م، ص701)، ويبقى السؤال ما هو السبب أو الدافع لرحلته إلى بلاد السودان الغربي؟ عليه فإنه قد تعددت الإجابات حول هذا السؤال، وهي كالآتي:

1- التقرب إلى السلطان المريني أبي عنان بقوله: " يا مولانا إنما أتيت فاس بقصدك والمثول بين يديك، ولما دخلت هذه المدرسة التي شيدت، ولم أقف على مثلها فيما شاهدته في المعمور كله، قلت: والله لابد لي أن أتمم عملي، وأبر بقسمي بالوصول إلى أقاليم السودان حتى أشاهده، وأقسم أن ليس في المعمور كله مثلها فحقق الله ظني، وأبر يميني، هذا موجب تأخيري عن المثول بين يديك " (الزياني، 1991، ص601)

أراد ابن بطوطة من خلال النص السابق الذي اقتبس من القصة الأصلية المفقودة والذي لا يوجد في مختصر ابن جزي (عن الرحلة) توضيحاً منه أن الرحلة جاءت لتسجيل مشاهداته لبلاد السودان الغربي ،كما شاهد كثيراً من حضارات الأُمم الأخرى خلال زياراته السابقة، ومقارنتها بالإنجازات الحضارية للمرينيين، خاصة منها المدرسة المتوكلية بفاس، معتبراً أن ما أنجزه المرينيون لم ير مثله في كل مشاهده، وهو ما اعتبره المؤرخون إرضاء للسلطان ا لمريني أبي عنان عندما عاتبه على عدم الاجتماع به بعد رجوعه من رحلته إلى بلاد الأندلس، فما شاهده ابن بطوطة من خلال ترحاله في بلاد مصر، والشام، والعراق، وبلاد العجم قد يفوق ما أنجزه المرينيون حضارياً (الزياني، 1991 م، ص610)، كذلك ذكره أنه ودع السلطان

في حاضرته فاس بقوله " فوادعت بها مولانا أيده الله " وهو في طريق رحلته دليلاً على الاجتماع به قبل سفره(ابن بطوطة، 2003 م، ص367).

2- ربما كان ابن بطوطة مبعوثاً في سفارة من السلطان المريني أبي عنان، وما كان عن توديعه للأمير قبل انطلاق رحلته بقوله: "فوادعت بها مولانا أيده الله، وتوجهت برسم السفر إلى بلاد السودان " وطلب أبو عنان له بالعودة فوراً لمدينة فاس وإنهاء رحلاته دليل على ذلك بقوله " آمر لي بالوصول إلى حضرته العلية فقبلته وأمتثلته على الفور " (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص367-380)، جُعل من هذا الاحتمال من وجهة نظري أقرب الاحتمالات عن سبب الرحلة.

3- حُبه للسياحة والضرب في مجاهل الأرض؛ استجابة لرغبة جامحة منه في التعرف على عادات وطِباع الشعوب، وهذا ما أكده بنفسه أنه محب للسياحة والجولان في البلدان (ابن بطوطة، 2003 م، ص15).

سابعاً: طريق الرحلة:

كانت مدينة سجلماسة هي أولى المحطات المتاخمة لبلاد السودان الغربي تجمع القوافل التجارية المنطلقة إلى المدن السودانية، وكانت الإبل هي وسيلة المواصلات الوحيدة المستخدمة في عبور الصحراء، لما تتميز به هذه الحيوانات من تحمل المشاق، والعطش، والقدرة على قطع مسافات طويلة دون ملل أوكلل، ولهذا كان التجار المغاربة يحرصون على تربيتها وتنمية إنتاجها (الجهيمي، د.ت، ص3).

ودع ابن بطوطة السلطان المريني في حاضرته فاس؛ استعداداً للسفر إلى وجهته الجديدة مستخدماً طريق سجلماسة- غانا، وهو أكثر الطرق أهمية في العصر الوسيط، والمستخدمة منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، بعد اكتشاف ملاحة تغازي بدلاً من ملاحة أوليل على المحيط الأطلسي عبر طريق أودغست (علوي، 1990 م، ص ص228-232) والملحق (2-4) يوضح ذلك الطريق، في حين الملاحق (1-4)، (1-5)، (1-6)تمثل تعريفاً لبعض المدن السودانية المذكورة في النص.

أقام ابن بطوطة في سجلماسة مدة أربعة أشهر، وفي محرم من العام 753 هـ / 1352 م خرج منها في قافلة تجارية إلى قرية تغازى المشهورة بمناجم الملح، فوصلها بعد 25 يوماً من انطلاقه إليها، فأقام فيها مدة عشرة أيام، قدم خلالها وصفاً لها بقوله " وهي قرية لا خير فيها، ومن عجائبها أن بناء بيوتها

ومسجدها من حجارة الملح، وسقفها من جلود الجمال، ولا شجر بها، إنما هي رمل فيه معدن الملح، يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة؛ كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض ... " (ابن بطوطة، 2003 م، ص368).

كانت قرية تغازى ذات قيمة تجارية عالية، لتوفر مادة الملح فيها، ولكن عدم وجود المياه العذبة والغطاء النباتي لم تعجب الرحالة ،ووصف مدة إقامته فيها بأنها أيام مجهدة(ابن بطوطة، 2003 م، ص368)، انتقل بعدها إلى بلدة أيوالاتن، فوصلها بعد مسيرة شهرين لانطلاق الرحلة من سجلماسة، وأيوالاتن ربما يرجع أصل تسميتها نسبة إلى قبيلة ولاتة البربرية (الأمازيغية) ومكانها شرق جمهورية السنغال الحالية (مؤنس، د.ت، ص226).

كان الطريق الصحراوي الواصل إلى أيوالاتن نادر المياه شديد الحرارة يسلك ليلاً (ابن بطوطة، 2003 م، ص369)، فالحرارة العالية تزيد من نسبة تبخر المياه فتُفقد من متاع المسافر بسرعة (مؤنس، د.ت، ص229)، فقسوة الصحراء أدت إلى وفاة بعضاً من روادها، وتعويضاً لنقص المياه تُعَطَشْ بعضُ الجمال في القوافل الصحراوية ثم تورِدُ فتحتفظ الجمال بالمياه في كروشها، وعند نفاذ المياه تذبح الجمال وتعصر كروشها للاستفادة من المياه فيها(القزويني، 1998، ص19؛ الوزان، 1983 م، ج1 ص76)، وذكر الرحالة أن الصحراء مليئة بقطعان البقر الوحشي التي تصاد بالكلاب، والنشاب ،فتعصر كروشها لشرب ما بها من مياه، ومن حسن حظ الرحالة ومرافقيه وجود غدران ماء أبقاها المطر في تلك الصحراء، فارتووا منها (ابن بطوطة، 2003 م، ص368-369).

وفي الطريق إلى أيوالاتن مرت القافلة على منطقة تعرف بـ (تاسر هلا)، وهي معطن ماء بها عدد من الآبار للتزود بالماء والاستراحة، يسكنها قبيلة مسوفة، الذين يشتهرون في دروب الصحراء الصعبة المسالك ذات الرمال المتحركة، فكانوا يقودون القوافل كأدلاء، ويسبقونها إلى بلدة أيوالاتن لإعلام أهلها بقدوم القوافل إليهم حتى يتم استقبالهم قبيل وصولهم، وتأجير البيوت لهم للإقامة فيها، ومن شدة معرفتهم بمجاهل الصحراء أن دليلهم المسوفي كان أعور، مريض العين الأخرى مما أثار استغراب ابن بطوطة بهذه

النباهة بمجاهل الصحراء (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص368-369)،والملحق(1-7) يبين تعريفاً لقبيلة مسوفة.

بعد شهر على انطلاق القافلة من مدينة سجلماسة وصلت إلى بلدة أيوالاتن، وذلك في أول شهر ربيع الأول 753 هـ / 1352 م، فأقام بها نحواً من خمسين يوماً مكترياً بها داراً لأحد المغاربة القاطنين في المدينة، ووجد فيها الكرم والضيافة من أهلها الذين كان أكثرهم من مسوفة، والتقى مدة إقامته بسلطانها ونائبه، وذكر كثيراً من طباع وعادات أهلها المسلمين وانتقدها (ابن بطوطة،2003م، ص ص360-370).

خرج الرحالة من أيوالاتن في قافلة صغيرة تضم ثلاثة من أصدقائه وصحبهم دليل مسوفي إلى مالي، وربما يرجع صغر القافلة إلى طبيعة أنس الطريق والتي تبعد عن مالي مسافة أربعة وعشرين يوماً، تلك الطريق وصفها بأنها كثيرة الأشجار الكبيرة والمثمرة حتى يستظل المسافر بها لكثافتها، وبعض تلك الأشجار تخزن بها مياه الأمطار وكأنها آبار تستخدم من قبل عابري الطريق (ابن بطوطة، 2003 م، ص379).

وفي الطريق إلى مالي عرج الرحالة على قرية كبرى تسمى زاغري، على بعد عشرة أيام من إيوالاتن، يسكنها تجار السودان يسمون ونجراته ، ويسكن معهم أقوام بيض البشرية، وهم على الأرجح من أهل المغرب منهم سنيون يتبعون المذهب المالكي ويطلق عليهم محلياً تُوري، ومنهم خوارج إباضية يسمون صَغنفوُ (ابن بطوطة، 2003 م، ص371)، والملحق(1-8) يبين تعريفاً للونجراتة.

ومن زاغري انطلق الرحالة ورفاقه باتجاه مالي، وفي الطريق مروا على بلدة كارْ سخُو (ابن بطوطة، 2003 م، ص371) على ضفاف نهر النيجر (مؤنس، د.ت، ص227)، والذي ظنه الرحالة نهر النيل (زيادة، 1991 م، ص330)، ويتصل بمدينة أسوان المصرية (ابن بطوطة، 2003 م، ص371).

تعد الأنهار من أهم مصادر المياه في بلاد السودان الغربي، وأهم تلك الأنهار نهرا السنغال والنيجر ، وأكبر تلك الأنهار نهر النيجر، الذي ذكره كثيرٌ من الرحالة والجغرافيين بنهر النيل ظناً منهم أنه متفرع من نهر النيل (ابن بطوطة،2003م، ص377)، واستمر هذا الاعتقاد سائداً حتى استطاع

المستكشف البريطاني منجوبارك Mungopark كشف حوض نهر النيجر في سنة 1795 م، وتصحيح المعلومات حوله (حسن، 2008 م، ص137)، والملحق (1-9) يوضح تعريفاً لنهر النيجر.

يمر نهر النيجر على عدة بلدات، فهو ينحدر من بلدة زاغة نحو تنبكتو، ثم مُولي التي كانت آخر البلدات التابعة لسلطان مالي، ثم يمر نهر النيجر على بلدة يوفي، أكبر البلدات السودانية، يحكمها أعظم سلاطين السودان، والممنوعة على ذوي البشرة البيضاء، فيقتلون قبل الوصول إليها (ابن بطوطة، 2003م ، ص371)، والملحق (1-10) يوضح تعريفاً لمدينة تنبكتو.

ومن كارسخو اتجه الرحالة إلى مدينة مالي، حاضرة ملك السودان، وعاصمة ملكه، وتُعد جغرافياً اليوم جزءاً من دولة مالي، على بعد حوالي عشرة أميال من نهر صنصرة، ومالي لم يكن اسم المدينة فقط، بل كان اسم مملكة كبرى من ممالك السودان الغربي، أسست في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي، شملت حوض النيجر الأعلى، وضمت مدن تنبكتو وجاو ورسجو، عاصمتها كنجابي على ضفاف نهر النيجر، وهي المدينة التي ذكرها الرحالة باسم مالي (مؤنس، د. ت، ص232)، وذكر أن مدينة نُياني (Niani) هي من اشتهرت باسم مالي، ومنها عمّ الاسم على باقي المملكة (باري، 2007 م، ص79).

عايش الرحالة المجتمع في مالي، وعايش عن قرب سلطانها منسى سليمان، وتعني مَنْسَى (سلطان)، وأمضى فيها أكثر من ثمانية أشهر، كان دخوله إليها في الرابع عشر لجمادى الأولى سنة 753 هـ / 1352 م، وخرج منها في الثاني والعشرين من محرم سنة 754هـ / 1354م، (ابن بطوطة، 2003م، ص ص 376- 377؛ Guld,2014,p35)، ثم غادرها نحو بلدة تسمى ميمة، تقع على الطريق الواصل إلى مدينة تنبكتو، ومن قرية ميمة سار برفقة أحد التجار على ضفاف نهر النيجر، وشاهد عن قرب فرس النهر، واستغرب من كبر حجمها ومن طريقة اصطيادها، وفي ذلك الموضع وهو أحد الخلجان على نهر النيجر، عرج على إحدى القرى الكبرى لم يذكر اسمها، لها حاكم يلقب بـ (فرمامغا) ووصفه بالحاج الفاضل، كان من ضمن من حج مع السلطان منسى موسى (ابن بطوطة، 2003 م، ص378) والملحقان (1-10) ، (1-11) يوضحان تعريفاً لفرس النهر، ورحلة السلطان منسى موسى للحج.

انتقل بعدها الرحالة إلى بلدة أخرى تعرف باسم قُرى منسى، أقام فيها سبعة أيام، ثم انتقل منها إلى تنبكتو التي تبعد عن نهر النيجر مسافة أربعة أميال، وكان أكثر سكانها مسوفة ملتمون، يحكمها حاكم يسمى فربا موسى، حضر مجلسه يوماً، ومن مشاهداته فيها قبر الشاعر والمهندس الأندلسي أبي إسحاق الغرناطي ؛الملقب بـ (الطويجن) ت 747 هـ /1346م، وقبر تاجر إسكندراني يسمى سراج الدين بن الكويك الذي وافته المنية في تنبكتو بعد أن جاء لاستلام أمواله التي أقرضها للسلطان منسى موسى في رحلته للحج (ابن بطوطة، 2003م، ص ص377، 378).

ومن تنبكتو استخدم ابن بطوطة نهر النيجر في رحلته، فقد انطلق عبر مركب صغير، وكان ينزل في كل ليلة بقرية من القرى الواقعة على ضفاف النهر، مقايضاً سكانها كل ما احتاجه من طعام بما كان يحمله من عطور، وملح، وحلي من الزجاج، وفي إحدى القرى نسي اسمها وجد ترحاباً من أميرها المسمى ضربا سليمان، وصفه بالشجاعة والكرم لما وجد منه من ترحاب وكرم، وأنه لم ير في بلاد السودان أكرم منه ولا أفضل منه (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص378-379)، وانتقل بعدها إلى مدينة كوكو التي وصفها أنها من أحسن مدن السودان وأكبرها وأكثرها خصوبة، وهي إحدى المدن الواقعة على ضفاف نهر النيجر والغنية بالمواد الغذائية وأهم منتجاتها الأرز، والدجاج، والسمك، والفقوس، وكانوا هم وأهل مالي يتعاملون في تجارتهم بـ (الودع) (ابن بطوطة، 2003 م، ص379)، والملحقان (1-12)، (1-13) يوضحا تعريفاً لأهم العملات المستعملة في بلاد السودان الغربي.

كان يسكن مدينة كوكو سكان مسلمون، منهم جالية مغربية، وجد منهم الرحالة كل حفاوة وترحيب منهم إمام مسجد البيضان (ابن بطوطة، 2003 م، ص379)، وربما ترجع بتسميته إلى كثرة رواده من ذوي البشرة البيضاء.

بعد إقامة في مدينة كوكو دامت شهراً استأنف الرحالة سفره متجهاً عن طريق البر إلى منطقة تعرف بـ (تَكْدّا) في قافلة كبيرة من الغدامسيين، نسبة إلى مدينة غدامس ، وفي الطريق عرجت القافلة على بلاد برْدامة وهو اسم لقبيلة بربرية تسكن المنطقة، وهم من البدو الرُحل، يعيشون على طريق القوافل، واستغرب الرحالة من بساطة بيوتهم المبنية من أعواد الخشب، ومغطاة بالحصر، والجلود ،والقطن، وانبهر

الرحالة بجمال نسائها وبياضهن الناصع، على الرغم من سمنهن المفرط (ابن بطوطة، 2003 م، ص379)، والملحق (1-14) يوضح تعريفاً لواحة غدامس الصحراوية.

ترك الرحالة بلاد بَرْدامة متجهاً شرقاً نحو مدينة تكدّا، وفيها استقبله سلطانها البربري المسمى (إزار) أحسن استقبال، وأجزل له العطاء، ومدينة تكْدّا مبنية بالحجارة الحمراء، يكثر فيها معدن النحاس، تسكنها جالية مغربية، وجد منهم كل ترحيب وتقدير، فنزل في جوار شيخهم (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص379-380).

كان أهل المدينة يمتهنون التجارة، وهي مصدر رزقهم، في حين كانت الزراعة قليلة، وكانت علاقتهم التجارية وطيدة مع مصر، فيجلبون منها الثياب الحسنة، ويسافرون لها كل عام، مما أدى إلى ازدهار المدينة تجارياً ورفاهية أهلها فاشتهروا بكثرة العبيد والخدم (ابن بطوطة، 2003 م، ص379)، وأثناء إقامة الرحالة في تكدا جاءه رسول السلطان أبي عنان يطلبه الرجوع إلى حاضرته فاس (ابن بطوطة، 2003 م، ص380)، وربما يكون هذا الطلب دليلاً على أن ابن بطوطة كان مكلفاً بسفارة من السلطان المريني أبي عنان.

في يوم الخميس الحادي عشر من شعبان سنة 754 هـ / 1353م، خرج ابن بطوطة من تكدا في قافلة كبيرة، من ضمنها سبعمائة خادم (رقيق)، مروا خلالها على منطقة كثيرة العشب، تُعرف بـ (كاهر)، يسكنها البربر، يشتهرون برعي الأغنام، تليها برية جدباء لا عمارة بها ولا ماء، ساروا فيها ثلاثة أيام، أردفتها برية أخرى لا عمارة فيها ولا ماء، ساروا فيها مدة خمسة عشر يوما، حتى مفترق الطريق التجاري، وهو طريق غات، الذي يتفرع من الطريق الواصل إلى مصر، وطريق توات الراجع إلى بلاد المغرب (ابن بطوطة، 2003 م، ص381)، والملحقان (1-15) ، (1-16) تعريفان لبلدة غات وإقليم توات.

عاد ابن بطوطة عبر طريق توات، تلك الطريق التي زاد أهميتها في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، كطريق تجاري بين المغرب والسودان الغربي، نظراً لانعدام الأمن في الطرق التجارية الأخرى الرابطة مع بلاد المغرب؛ بسبب انتشار قطاع الطرق فيها (بلاغ، 2014 م، ص110)، وانفتاح ملوك مالي على المشرق الإسلامي بسبب النشاط التجاري بينهم وبين المصريين، ومنافسة السلع المصرية

للصادرات المغربية بالسوق السوداني، واستخدامها كطريق واصل لقوافل الحجيج (علوي، 1990 م، ص ص243-249)، والملحق (2-5) يوضح طريق توات التجاري.

كان طريق توات يسكنه البربر الملثمون، وكانت مسافته طويلة، فبعد مفترق طريق غات، وصل إلى بلاد هكار، التي تبعد عن المفرق مسافة عشرة أيام فوصلها في شهر رمضان المبارك، ومن حُسن حظهم أنهم لم يتعرضوا للسطو من لصوص طريق هذه البلاد، الذين يحترمون الشهر الفضيل، ولا يتعرضون لرواده، ووصف سكان تلك البقاع، وهم بربر ملثمون أنهم لا خير فيهم لاعتراضهم قافلتهم، وفرض غرامة عليها، ثم السماح لهم بالمسير بأمان طيلة الشهر في أرض كثيرة الأحجار، وعرة، قليلة النبات حتى بلاد برابر التي وصلوها في يوم عيد الفطر المبارك، واستأنف السير حتى قرية بُودا أكبر قرى توات، وهي أرض رمال وسباخ لا تنبت إلا النخيل، فكان غذاء أهلها التمر والجراد الذي يصطادوه في الصباح قبل شروق الشمس (ابن بطوطة، 2003 م، ص381).

استغرقت إقامة القافلة في قرية بودا أياماً، ثم سافروا في قافلة متجهة نحو مدينة سجلماسة فوصلها في منتصف شهر ذي القعدة من العام 754 هـ / 1353م، وخرج منها في الثاني من شهر ذي الحجة سالكاً طريقاً تُعرف بطريق (أم جنيبة)، المارة على جبال أطلس، وكان الفصل فصل شتاء والثلج ينزل بكثافة، فلم ير الرحالة طريقاً أصعب منها خلال ترحاله (ابن بطوطة، 2003 م، ص381؛ مؤنس، د.ت ، ص236).

في ليلة عيد الأضحى وصل الرحالة إلى منطقة تعرف بـ (دار الطّمع) فمكث فيها أيام عيد الأضحى، توجه بعدها إلى حاضرة المرينيين (فاس)، حيث لاقى فيها كل كرم وترحيب من سلطانها أبي عنان (ابن بطوطة، 2003 م، ص381)، والملحق (2-6) يوضح خط سير رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان الغربي.

ثامناً: الموارد الاقتصادية للإقليم

1- المحاصيل الزراعية:

تنوعت المحاصيل الزراعية التي كانت تزخر بها المنطقة، والتي كانوا يقتاتون بها في غذائهم، ومن أشهر منتجات الواحات الصحراوية المتاخمة لبلاد السودان تمور النخيل، التي كانت غذاء لهم ولحيواناتهم، فتتزود بها القوافل المتجهة نحو السودان الغربي، ومن أشهر المدن المنتجة للتمور مدينة سجلماسة المحطة الأولى للقوافل، والتي شبهها كمدينة البصرة العراقية لكثرة تمورها، إلا أنه فضل تمورها عن تمور البصرة لجودته، وذكر أن هناك صنفاً من تمورها يسمى (إيرار) ليس له مثيل في طيب المذاق(ابن بطوطة، 2003 م، ص367).

كانت الصحراء الفاصلة بين تغازى وتاسرهلا مليئة بفطر الكمأ، أما الطريق الواصل بين أيوالاتن ومالي فقد كانت مليئة بالأشجار ،الكثير منها مثمر،منها ما يشبه ثمرة الإجاص، والتفاح، والخوخ، والمشمش، ومنها ما يشبه الفقوس، والفقوس نوع من أنواء القثاء، وبعد نضجه يخرج منه طحين يطبخ ويُأكل، وبالإضافة إلى كثافتها كانت أشجارها ضخمة، وبعضها ميتة خُزن بها مياه الأمطار، وظلت كأنها صهاريج، فأفادت عابري الطريق، وهناك أشجار يتواجد فيها النحل والعسل، ومن ضخامتها أنه وجد في إحدى الشجرات حائكاً ينسج الثياب (ابن بطوطة، 2003م ، ص370).

ومن باطن الأرض يستخرج حبات كحبات الفول تُقلى وتُأكل، ولها طعم الحمص المقلي، وتطحن ويصنع منها ما يشبه أكلة الإسفنج (وهي أكلة تُصنع من الطحين المخمر المقلي في الزيت)، ويستخرج الطحين أيضاً من النبق، واللوبيا، والقافي (ابن بطوطة، 2003 م،ص ص370، 372) ويستخرج من ثمر يشبه طعم الإجاص وشكله كالليمون يعرف بالفُرتي، شديد الحلاوة، بداخله نوى يأخذ ذلك النوى، وهو طري، ويطحن ويستخرج منه زيت يجمد –شبيه السمن– يطبخونه، ويؤكل ويستخدم في إنارة السرج (المصابيح)، ويقلون به، ويخلط بالتراب لتسقيف المنازل وتبيضها، ولصناعة الصابون، ولتبييض المنازل وغطائها يستخدم الجير كذلك لهذا الغرض (ابن بطوطة، 2003 م، ص 370؛ القلقشندي، د.ت، ج5 ص112؛ العمري، 2010 م، ج4 ص50)، والملحق (1-17) يوضح تعريفاً لنبات القافي.

ومن غلاتهم البطيخ والقثاء أو القرع الذي يُعظم حجمه ويُأكل، ويستخدم كإناء في الأكل والشرب، حيث يقطع قطعتين ينقشا بإتقان (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص369-371)، ومن المحاصل السودانية القطن، الذي عرفوه عن طريق العرب في السودان الأوسط والغربي (الطيبي، 1997 م، ج2 376)، والقمح، والأرز، والذرة، ونبات الفوني ذو حبوب تشبه حبوب الخزذل بيضاء اللون يصنع منها أكلتي الكسكسو والعصيدة، ومن صناعاتهم الغذائية: مشروب يُعرف بمشروب الدقنو، وهو خليط من ماء فيه جريش الذرة، مخلوط بيسير عسل أو لبن (ابن بطوطة، 2003 م، ص378).

2- الثروة الحيوانية:

تعددت حيوانات إقليم السودان الغربي، منها المستأنسة والبرية، فمن حيواناتهم المستأنسة الجِمال والخيول، والبغال، والبقر، والماعز، والغنم، وأنواع من الطيور كالدواجن والأوز والحمام، أما الحيوانات البرية فهي كثيرة ومتنوعة، كالجواميس أو البقر الوحشي، والغزلان، والنعام، والفيلة، والأسود، والنمور، بالإضافة إلى الحيوانات البرية هناك الأسماك والتماسيح (العمري، 2010 م، ج4 ص ص50-54).

استخدم الرحالة الجمل في ترحاله، وشاهد في طريقه قطعان الأبقار الوحشية في الصحراء، والتمساح وفرس النهر في نهر النيجر، وكانت مشاهداته لفرس النهر قد أثارت استغرابه (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص369، 371، 377).

3- الموارد المعدنية:

يعد الملح أهم المعادن الرائجة في المنطقة، والتي تزخر بها قرية تغازي الصحراوية المبنية بحجارة الملح، فهي أول مدن السودان الغربي المتاخمة لبلاد المغرب (الساهري، 2011 م، ص124)، والمنجم الرئيسي للملح منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، بعد إهمال ملاحة أوليلي على المحيط الأطلسي، نظراً لسهولة استخراج الملح منها (علوي، 1990 م، ص235)، الذي يصّدر إلى الكثير من مدن السودان الغربي، فقيمته الاقتصادية تضاهي قيمة الذهب والفضة (ابن بطوطة، 2003 م، ص40)، فقامت عليه وعلى الذهب ثروات الدول الإسلامية التي نشأت في المنطقة ك (مالي وغانا وصنغاي) (مؤنس، د.ت، ص225)، ويوجد الذهب في أماكن متفرقة من بلاد السودان الغربي خاصة في إقليم غانا

(يحي، 2010 م، ص18)، حيث يوجد على ضفاف الأنهار وفي باطن الأرض (العمري، 2010 م، ج4 ص110).

إضافة لمعدني الملح والذهب، تزخر المنطقة بمعدن النحاس الذي يوجد في باطن الأرض كمعدن يستخرج ثم يُصْنعْ على هيئة قضبان بطول شبر ونصف ذات أقطار كبيرة وصغيرة تباع في أماكن متفرقة من بلاد السودان (ابن بطوطة، 2003م، ص380)، ويوجد في المنطقة معدن الحديد بقوله " وهناك أحساء ماء يجري على الحديد، فإذا غسل به الثوب الأبيض أسودّ لونه" (ابن بطوطة، 2003 م، ص381)، ويوجد خام الجير الذي يستخدم في تبيض المباني (طلائها)، وأيضاً معدن الزئبق الذي يستخدم في مكافحة حشرات القمل يقول " ويكثر القمل بها، حتى يجعل الناس في أعناقهم خيوطاً فيها الزئبق، فيقتلها " (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص368، 370).

4- الصناعات السودانية:

هناك بعض الصناعات البسيطة التي رآها ابن بطوطة بأم عينه، ففي الطريق الواصل بين أيوالاتن ومالي شاهد حائكاً ينسج الثياب اتخذ من جذع إحدى شجرات الغابة مقراً لمهنته (ابن بطوطة، 2003 م، ص270)، ومن القصب تصنع آلات موسيقية، ومن سعف شجر يشبه النخيل لا ثمر له ولم يذكر اسمه يصنعون سجدات للصلاة، ومن صناعاتهم قضبان النحاس بعد سبك خامه (ابن بطوطة، 2003م، ص ص374، 376، 380)، وهناك صناعات غذائية كمشروب الدقْنُو وهو خليط من ماء فيه جريش الذرة، مخلوط بقليل من العسل أو اللبن (ابن بطوطة، 2003 م، ص378)، ومن ثمرة القرع يصنع الجفان، وذلك بقطعها نصفين ثم ينقشان نقشاً جميلاً كالأواني، ليتم استخدامها في الأكل والشرب (ابن بطوطة، 2003م، ص371).

تاسعاً: الحياة الاجتماعية:

بدخول الإسلام للمنطقة اكتسب المجتمع السوداني خلق الإسلام في حياته، إلا أنه لم يتخلص من عادات وتقاليد كثيرة موروثة، وفيما يلي نوجز عادات وتقاليد وصفت في هذه الرحلة.

1- الطِباع الحسنة:

ذكر ابن بطوطة من خلال مشاهداته واحتكاكه بأهل السودان عادات طيبة ككرم الضيافة، وهو ما لمسه من سكان أيوالاتن، بعد أن تسرع ووصفهم بانهم يحتقرون البيض وسخر من استقبالهم له (ابن بطوطة، 2003 م، ص363).

كان معظم المناطق التي زارها الرحالة في بلاد السودان سكانها مسلمون، وصف كثيراً منهم بالطيبة وحسن الخلق، وبعادات حسنة كالكرم وحسن الضيافة، وقد لاحظ ذلك في بلدة أيوالاتن ،فبعد أن ذم أهلها بأنهم يحتقرون البيض وسخر من استقبالهم له، وجد نفسه متسرعاً بعد مخالطتهم بوجود طباع حسنة فيهم منها وصفه لهم بأنهم مسلمون محافظون على الصلوات الخمس جماعة (ابن بطوطة، 2003 م، ص370)، ومن أفعالهم الحسنة ما رآه في مالي من قلة الظلم والأمن والآمان والأمانة في بلادهم واحترامهم لأرزاق الناس وعدم التعرض لها بقوله: " ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان، ولو كان القناطير المقنطرة، إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه " (ابن بطوطة، 2003 م، ص369-370، 376).

ومن مشاهداته الطيبة ضرب أبنائهم عند تكاسلهم عن الصلاة، وازدحام المساجد بالمصلين، خاصة يوم الجمعة، فلا يجد المتكاسل المتأخر مكاناً في المسجد،كذلك اهتمامهم بحفظ القرآن الكريم وقراءته، وتوجيه أبنائهم للكتاتيب لقراءته وحفظه، وتقييدهم عندما يتكاسلون في حفظه، ومن مشاهداته في مالي أيضاً ما أغدقه عليه سلطانها منسى سليمان عند رحيله عنها بمائة مثقال ذهب في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، عندما فرّق عليهم الزكاة هو والقاضي والخطيب والفقهاء (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص 372 ، 376).

2– عاداتهم السيئة:

ومن عاداتهم السيئة من خلال مشاهداته في مالي خروج الجواري والنبات الصغار عرايا باديات عوراتهن، وهو ما شاهده الرحالة في قصر السلطان ليلة السابع والعشرين من رمضان، ودخول النساء عريا غير مستترات على السلطان، وتعرى بناته، وفي قرية أيوالاتن الأغلب سُكانها من قبيلة مسوفة البربرية قلة الغيرة من رجالها المسلمين ونسائها، على الرغم من أنهم محافظون على الصلاة وحفظ القرآن، فقد كان نسائهم فائقات الجمال لا يحتشمن من الرجال، ولا يتحجبن، ويتخذن أصدقاء من رجال غرباء، فلا ينكرون رجالها ذلك، وفي المقابل يتخذون صديقات من نساء غريبات، وهذه الأعمال منافية للإسلام وشرائعه، يبدو أنها عادة قديمة توارثوها قبل دخولهم للإسلام، فالإسلام ينبذ عادات الجاهلية، ودعا للحشمة والعفة لكل المسلمين رجالاً ونساءً، قال تعالى: چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ چ (سورة النساء: 25)، وقال سبحانه وتعالى: چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ (سورة الأحزاب: 53).

ومن عاداتهم تواضعهم لملوكهم فيحلفون بأسمائهم، فإذا دعوهم للجلوس معهم لبسوا أوسخ الثياب وأقدرها ونزعوا عمائمهم ولبسوا مكانها شاشية غير نظيفة، ويدخلون عليهم مشمري سراويلهم حتى نصف الساق، وعندما يتحدثون مع سلاطينهم يعرون ظهورهم ويرمون بالتراب عليها وعلى رؤوسهم، وإذا تحدث أحدهم حديثاً وصدّقه السلطان نزعه ثيابه وتربع وأهال على نفسه التراب وهو عندهم قمة الأدب والتواضع (ابن بطوطة، 2003 م، ص373–374).

ومن عاداتهم السيئة أكلهم الجِيف والكِلاب والحمير، وفي المناطق الوثنية من بلاد السودان كانوا يأكلون اللحم الآدمي، ولا يحبذون أكل الآدميين من ذوي البشرة البيضاء بزعمهم أن لونهم يدل على عدم نضوجهم، واللون الأسود دلالة على النضوج (ابن بطوطة، 2003 م، ص ص376، 377)، وقد ذكر القلقشندي أن هناك بعض الكفار في بلاد التكرور يأكلون لحم الآدميين (القلقشندي، دت، ج5ص287).

3- المناسبات الدينية:

في ضيافة سلطان مالي مَنْسىَ سليمان كان أول شهر رمضان يحضرة الرحالة في بلاد السودان بعد إقامته فيها أربعة أشهر، وفي ليلة السابع والعشرين منه قدَّم ملكها الهدايا للقاضي والخطيب، وهبات وعطايا باسم الزكاة كان له نصيب منها (ابن بطوطة، 2003 م، ص372).

في صلاة العيدين يخرج سكان مالي إلى المصلّى قرب قصر السلطان، وهم لابسين الثياب الأنيقة الناصعة البياض وعلى رؤوسهم الطَّيْلسانُ، فيجتمع في عين المكان السلطان والرعية، وتملأ المكان أصوات التكبير، وتزينه أعلام حريرية حمراء، وبعد الصلاة والخطبة يجلس السلطان على منصة أعدت له تسمى بـ(البنبي) ، ويجتمع حوله أعيان مملكته من الأمراء والقاضي والخطيب الذي يمجد السلطان ويحرّض الناس على لزوم طاعته، وتعزف الموسيقى بآلة مصنوعة من التعصب وتُقرع الطبول على أنغامها، ويغني على نغماتها شخص مقرب من السلطان يُعرف باسم دوغا بأشعار تمجد السلطان وتمدحه، ويغني ويرقص معه الجواري والنساء، وثلاثون غلاماً كل بطبلة يضرب عليها، ويلعب الغلمان ألعاباً استعراضية بالسيوف والرماح في رشاقة وخفة، ويلعب معهم دوغا كذلك بالسيف في رشاقة ونشاط، ثم يُؤتى بصرة من الذهب تنتشر على رؤوس الحاضرين، ويأتي دور الشعراء في هذا المهرجان الذين يسمون بـ (الجُلا) مفرده جالي أي شاعر، ويلبسون جبة بهلوانية مصنوعة من الريش لها رأس من الخشب بمنقار كرأس العصفور، فيقفون بهيئتهم المضحكة أمام السلطان، ويشعرون بأشعار، وهي نوع من الوعظ يذكرونه بأسلافه من السلاطين حتى ينال الجميع رضا السلطان (ابن بطوطة، 2003 م، ص373-375)، والملحقان (1-18) (1-19) تعريفان لمصطلحي الطيلسان والبنبي، وهذه العادات هي عادات وتقاليد قديمة توارثوها قبل الإسلام.

الخلاصة:

بين لنا ابن بطوطة من خلال رحلته أن ما كُتب عن إقليم السودان الغربي حتى منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي من قبل المؤرخين والجغرافيين السابقين لم يكن بالأهمية والشهرة؛ لما قدمه من وصف للمنطقة كشاهد عيان لحياة المجتمع فيه، فأعطى صورة للحياة الاجتماعية والاقتصادية كشهادة تنبض بالحياة عن سكان بلاد السودان الغربي، لكونه امتداداً للعالم الإسلامي، وبين مدى الوجود المغاربي فيه واهتمامهم به، وإقامة جاليات، وحدوث سفارات معه، باعتباره مركزاً مهماً من مراكز التجارة الإقليمية في العصر الوسيط لتوافر عصب التجارة في ذلك الزمان، وهما خامي الملح والذهب.

لاقت رحلة ابن بطوطة اهتماماً من قبل المستشرقين، فترجموها إلى عدة لغات أوروبية منذ القرن التاسع عشر الميلادي، فاستفاد منها المستعمرون الأوروبيون كمصدر للمعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية للمنطقة وقاموا على إثرها إلى بتقسيمها إلى ثلاثة أقاليم، واستكشفوها، وأطلقوا على الجزء الغربي منها اسم السودان الغربي، وكان من تقاسمهم للمنطقة في عصرها الحديث مستفيدون مما تتمتع به من خامات متعددة.

ملحق (1)

(1-1) الميل: وحدة طول لتحديد المسافات، وهو مقدار مدى البصر من الأرض، أختلف في مقداره فذكر انه ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع. (المقري، 2008، ص ص367-368)؛ وبحساب الأرقام الذراع يساوي 0.54 م، وإذا أخذنا المتوسط الحسابي فإن الميل يساوي 3500 ذراع، والذراع = 0.54 م، تم نحول الذراع إلى متر 3500 × 0.54 = 1890 م؛ وبالتالي فإن المسافة الكلية للرحلة بالمتر والكيلومتر تقريبا كالتالي 1890×75000=141150000÷1000= 141750 كم.

(1-2) أبو عنان: يلقب بالمتوكل على الله، فارس بن علي أبو الحسن بن عثمان المريني، ولد في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 729 هـ، وبويع له بالإمارة في في ربيع الأول سنة 749 هـ / 1351 م، عقب انقلاب على والده كان أديباً بارعاً اشتهر بحبه للعلم والعلماء، اشتهر ببنائه للمدارس والزوايا، ومن أشهرها المدرسة العنانية بمدينة سلا، قتل مخنوقاً في الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة 759 هـ / 1361 م (ابن الأحمر، 1962 م، ص27؛ ابن حجر، 1993 م، ج3، ص219؛ الناصري، 1997 ، ج3 ص206).

(1-3) ابن جزي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزي، من أهل غرناطة شاعر بليغ وأديب وقاضٍ، نهل من والده أبي القاسم محمد علم الحديث والفقه، وتتلمذ بعدها على غيره من العلماء، تقوم على الأمير المريني أبي عنان واتخذه كاتباً له، توفي في شوال سنة 757 هـ / 1365 م، عن ست وثلاثين سنة. (ابن الخطيب، 1975 م، ج3/ ص ص392-393؛ ابن حجر، 1993، ج4، ص168).

(1-4) سجلماسة: واحة غناء ومدينة تاريخية، تقع في جنوب بلاد المغرب الإسلامي في أول الصحراء على الطريق الواصل إلى بلاد السودان الغربي، بنيت سنة أربعين ومائة من الهجرة كحاضرة للدولة المدرارية في أرض سهلية مليئة بالفواكه والنخيل، يسكنها البربر الأمازيغ، ونظراً لموقعها التجاري

فإن كثيرًا من أهلها تجار أغنياء (البكري، 1992 م، ج2 ص ص835-836؛ القزويني، 1998 م، ص42).

(1-5) تغازى: بلدة جنوب المغرب قرب المحيط الأطلسي على الطريق الواصلة لبلاد السودان، تشتهر بمعدن الملح الذي يستخدم في بناء بيوتها، تسكنها قبيلة مسوفة (القزويني، 1998 م، ص ص25-26).

(1-6) أودغست: مدينة كبيرة تشتهر ببساتينها الكثيرة وأسواقها العامرة ومبانيها الحسنة وأخلاط سكانها المشهورين بالتجارة، تبعد عن مدينة سجلماسة حوالي 50 مرحلة أي حوالي1200 ميل (مجهول، د.ت، ص ص215-216).

(1-7) مسوفة: قبيلة بربرية أمازيغية بدوية تسكن بين مدينتي أودغست وسجلماسة على الطريق الواصلة بين بلاد المغرب والسودان الغربي، اشتهروا بالقوة والجلد والفروسية ومعرفة الدروب الصحراوية. (ابن حوقل، 1992 م، ص98).

(1-8) الونجراتة: هو اسم أطلق على أقوام يعتقد أنهم جاءوا مهاجرين من المغرب إلى بلاد السودان، فأخذوا الطابع السوداني، وعلى أكتافهم قامت دولة صُنغِي (مؤنس، د.ت، ص231).

(1-9) نهر النيجر: من أكبر أنهار أفريقيا، ينبع من مرتفعات غينيا، وتنحدر مياهه جرياناً نحو الشرق قرابة 1000 ميل، حوالي 4200 كم، ثم يتحول نحو الجنوب الغربي لينتهي بعد بضع مئات من الأميال إلى المحيط الأطلسي، يمر النهر على عدة دول أفريقية منها غينيا كوناكري، ومالي والنيجر وبنين وأخيراً نيجيريا، وهو نهر صالح للملاحة ومصدر مهم لصيد الأسماك، وقامت على ضفافه مدن عديدة خاصة في مالي،أهم المدن الإسلامية التي برزت في غرب أفريقيا، (باري، وكريدية، 2007، ص22؛ زيربو، 1994 م، ج1 ص15).

(1-10) تنبكتو: من الحواضر الإسلامية المهمة في غرب أفريقيا، بناها الملك منسى سليمان عام 610 هـ / 1213م، على بعد نحو اثني عشر ميلاً من أحد فروع نهر النيجر، تعد حلقة وصل بين

السودان الغربي والصحراء الكبرى، ومفترق طرق لعبور القوافل التجارية (الوزان، 1983 م، ج2 ص165؛ باري، 2007 م، ص ص96-97).

(1-11) فرس النهر: هو حيوان ضخم وجهه وجه فرس، تخرج ليلاً من الأنهار للرعي، وتعود قبل النهار، تشكل خطراً على المسافرين عبر الأنهار لاعتراضها سفنهم (كاريخال، 1984 م، ص72).

(1-12) كانت رحلة السلطان منسى موسى المشهورة للحج في العام 724 هـ / 1324 م ماراً بمدينة القاهرة في موكب بلغ عدده حوالي 60000 ألف فرد، ولقيت رحلته اهتماماً في مالي وفي العالم الإسلامي (دي، 1982 م، ص ص55-56).

(1-13) إلى جانب التبادل السلعي العيني كان هناك عملات شاع استعمالها في بلاد السودان الغربي، بعضها محلي، والآخر مستورد، منها عملات حديديه وذهبية، عرفت بالمثقال الذهبي، وقطع التبر، إضافة إلى الودع وقطع الملح (شترة، 2016 م، ص44).

(1-14) الودع: استخدم في العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث كعملة للتواصل التجاري والذي يعتقد أنه وصل إلى غرب أفريقيا السودان الغربي عبر التجارة والحج من مصدرها الأصلي في بلاد الهند، والودع هو الصدف أو القواقع البحرية الصغيرة التي تزخر بها شواطئ البحر الفوتي، 2018 م، ص40، وكان كل 300 ودعة تساوي مثقالاً من الذهب في اواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي (زيادة، 1991 م، ص367).

(1-15) غدامس: واحة في قلب الصحراء، يسكنها البربر الأمازيغ، تشتهر بكثرة نخيلها ووفرة مياهها، تبعد عن مدينة طرابلس الغرب مسافة ثلاثة أيام، من معالمها: ماء عين قديمة تفيض بالماء. (البكري، 1992 م، ج2 ص881؛ القزويني، 1998، ص57).

(1-16) غات: واحة صحراوية يسكنها الطوارق، تقع في الصحراء الكبرى جنوب غرب فزان. (معلوف، 2008 م، ص389).

(1-17) توات: إقليم قُدرت مساحته بحوالي ألف ميل مربع، يقع جنوب غرب الصحراء الجزائرية، وهي جزء من الصحراء الكبرى، ويشمل الإقليم على عدد من الواحات، يزيد عددها عن الثلاثمائة والخمسين واحة متناثرة في الصحراء، وكأنها أرخبيل في عرض البحر، تتركز أهميته في أنه كان يقدم المنتجات الفلاحية والرعوية والحرفية والصرافة والأمن للقوافل العابرة فيه(بلاغ، 2014 م، ص ص110-111؛ شترة، 2016 م، ص39).

(1-18) القافي: وهي عروق رقاق تدفن في الأرض حتى تضخم وتنضج، ثم تقطف (العمري، 2010 م، ج4 ص51).

(1-19) الطيلسان: هي كلمة فارسية معربة، جمعها طيالسة، وهو كساء يوضع على الرأس (المقري، 2008م، ص234).

(1-20) البنبي: هي مصطبة أو دكة كبيرة، تكون على قدر المجلس الواسع، تحيط بها أنياب الفيلة في جميع جوانبها (العمري، 2010م، ج4 ص52).

ملحق (2)

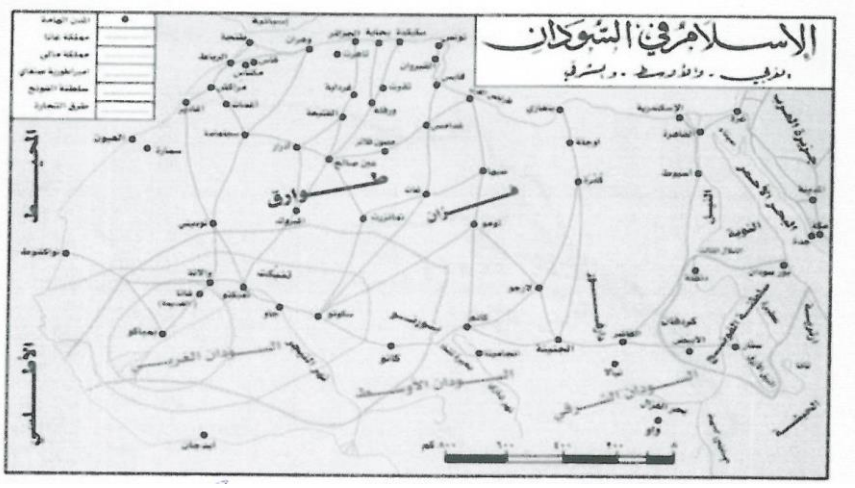

ملحق (2-1) يوضح أقاليم السودان وشبكة الطرق الواصلة بينه وبين شمال أفريقيا (أبوخليل، 2005م، ص74)

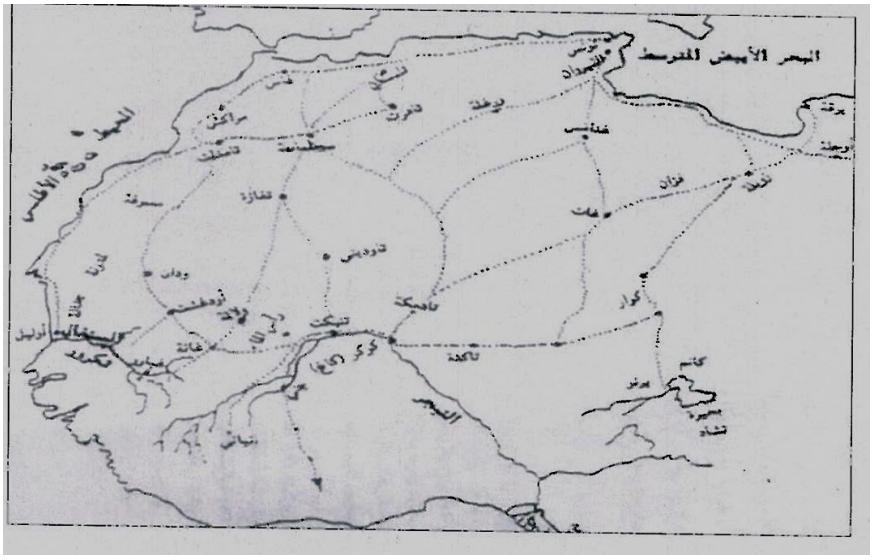

ملحق (2-2) يوضح شبكة الطرق الواصلة بين السودان الغربي وشمال أفريقيا

(أبرزاق، 2016م، ص52)

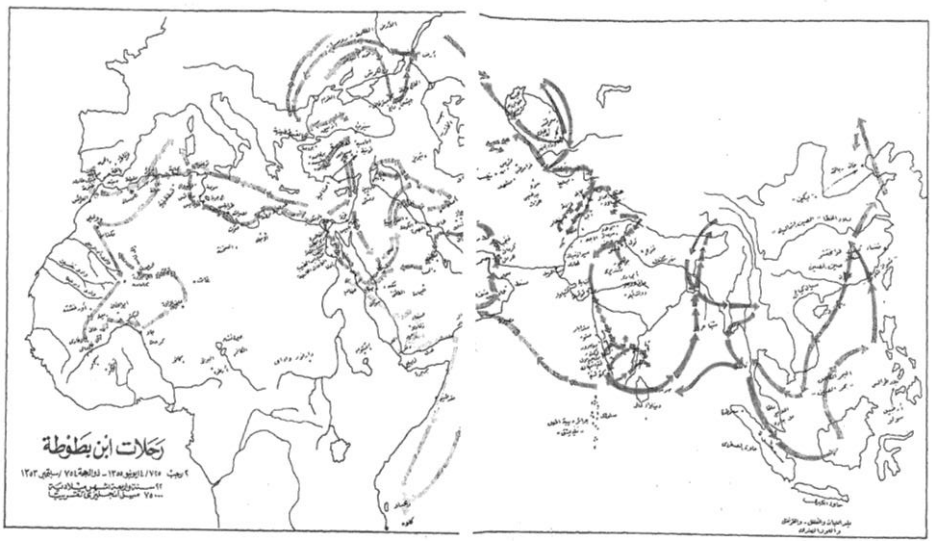

ملحق (2-3) يوضح طريق رحلة ابن بطوطه

(مؤنس، د.ت، ص292)

ملحق (2-4) يوضح طريق رحلة ابن بطوطة إلى إقليم السودان الغربي (علوي، 1990م، ص242)

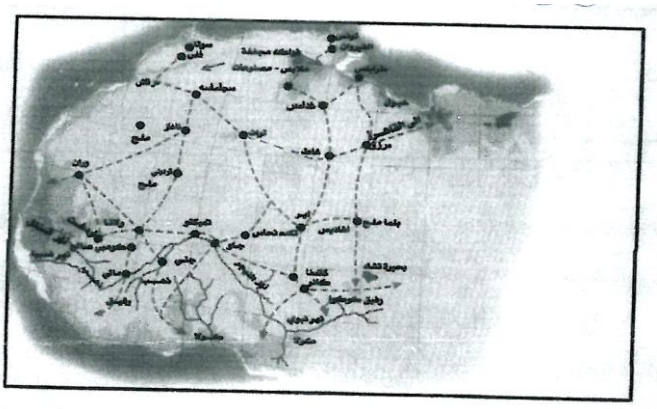

ملحق (2-5) يوضح طريق توات التجاري

(طرخان، 1970 م ، ص73)

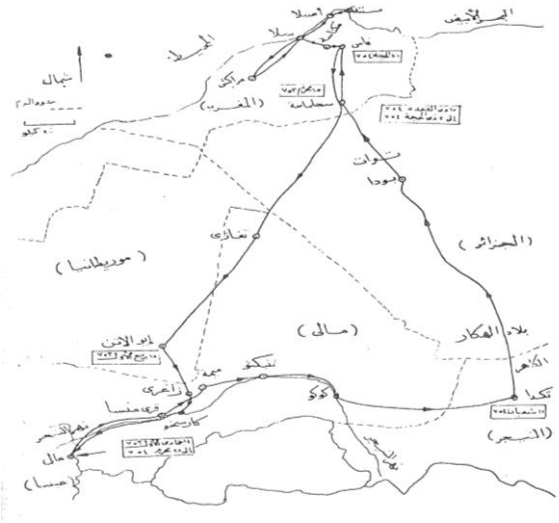

ملحق (2-6) يوضح خط سير رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان الغربي

(ابن بطوطة، 2007م، ص681)

المراجع

– القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1– المصادر:

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل فرج بن إسماعيل (1962 م). روضة النسرين في دولة بين مرين (ط1). الرباط: المطبعة الملكية.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد (1998 م). تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، (ط1). الرياض: دار الشريف للنشر والتوزيع.

ابن الخطيب، محمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد (1975 م). الإحاطة في أخبار غرناطة، (ط1). القاهرة: مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (1998 م). رحلة ابن بطوطة (ط2). بيروت: دار صادر.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (2003 م). رحلة ابن بطوطة (ط2). بيروت: دار الفكر.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله (2007م). رحلة ابن بطوطة (ط4). بيروت: دار الكتب العلمية.

البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز (1992 م)، المسالك والممالك (ط1)؛ تونس: الدار العربية للكتاب.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد (1993 م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (ط1)؛ بيروت: دار الجبل.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد (د.ت). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، د.م.

ابن حوقل، محمد بن علي (1992م). صورة الأرض (ط1). بيروت: دار مكتبة الحياة.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (2000 م). تاريخ ابن خلدون (ط1)، بيروت: دار الفكر.

الزياني، بلقاسم بن أحمد (1991م)، الترجمانة الكبرى (ط1). الرباط: دار نشر المعرفة.

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (2010م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (1998). آثار البلاد وأخبار العباد (ط1). بيروت: دار صادر.

القلقشندي، أبوا لعباس أحمد بن علي (د.ت). صبح الأعشى في صناعة الأنشا. بيروت: دار الكتب العلمية.

مجهول: مؤلف (1985م). الاستبصار في عجائب الأمصار (ط1). الدار البيضاء: دار النشر المغربية د.م.

المقري، أحمد بن محمد بن علي (2008 م). المصباح المنير (ط1). القاهرة: دار الحديث.

الناصري، أحمد بن خالد (1997م). الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (ط1). الدار البيضاء: دار الكتاب.

النووي، أبو زكريا يحي بن شرف الدمشقي (2007 م). رياض الصالحين (ط5). القاهرة: دار السلام.

الوزان، الحسن بن محمد (1983 م). وصف أفريقيا (ط2). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

2- المراجع:

إبراهيم، عبد الله عبد الماجد (1998). الغزّابة (ط1). د.م: دار الحاوي.

أبو خليل، شوقي (2005م). أطلس التاريخ العربي الإسلامي (ط12). دمشق: دار الفكر.

باري، محمد فاضل علي، وسعيد كريدية (2007 م). المسلمون في غرب أفريقيا (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

حسن، زكي محمد (2008 م). الرحالة المسلمون في العصور الوسطى (ط1). القاهرة: شركة نوابغ الفكر.

حسين، حسني محمود(1983 م). أدب الرحلة عند العرب (ط2). بيروت: دار الأندلس.

زبادية، عبد القادر (د.ت). دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب المسلمين (ط1). الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.

زيادة، نقولا (1991 م)، أفريقيات (ط1). د.م.

الشاهدي، الحسن (د.ت). أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني (ط1). الرباط: مطابع عكاظ.

ضيف، شوقي (1956 م). الرحلات (ط4). القاهرة: دار المعارف.

طرخان، إبراهيم علي (1970م). إمبراطورية غانة الإسلامية (ط1). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

الطيبي، أمين توفيق (1997م). دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس (ط1). تونس: الدار العربية للكتاب.

قنديل، فؤاد (2002 م). أدب الرحلة في التراث العربي (ط1). القاهرة: الدار العربية للكتاب.

كردي، علي إبراهيم (2013م). أدب الرّحل في المغرب والأندلس (ط1). دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

معلوف، لويس (2008 م). المنجد في اللغة والأعلام (ط43). بيروت: دار المشرق.

مؤنس، حسين (د.ت). ابن بطوطة ورحلاته (ط1). القاهرة: دار المعارف.

3– المراجع الأجنبية:

- Gould , Janet Hardy (2014) the Travels of ibn Battuta (5) . oxford

4– المراجع الأجنبية (المعربة):

دي، فيج – جي (1982م). تاريخ غرب أفريقيا (ط1). القاهرة: دار المعارف.

زيربو، جوزيف –كي (1994 م). تاريخ أفريقيا السوداء (ط1). دمشق: وزارة الثقافة.

كاربخال، لمارمول (1984 م). أفريقيا (ط1). الرباط.

كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوقتش (1963 م). تاريخ الأدب الجغرافي العربي (ط1). القاهرة.

5– المجلات والدوريات:

أبرزاق، البشير (2016م). دور الصحراء في العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، دورية كان التاريخية، العدد33.

أبو القاسم، محمد المصطفى (د.ت). مصطلح السودان في المصادر العربية والأجنبية، مجلة الدراسات العليا (جامعة النيلين)، العدد 4.

البدوي، أمنة سليمان (2014 م). الرحالة الأندلسيون والمغاربة ورحلاتهم من (ق3 هـ – ق 9 هـ)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41 (العدد الثاني).

بلاغ،عبد الرحمن (2014 م). الحرف والمهن لمسالك القوافل في المغرب الأوسط مركز المسالك الصحراوية أنموذجاً. دورية كان التاريخية، السنة السابعة (العدد 24).

الجمل، شوقي عطا الله (1975 م). الحسن بن محمد الوزان وإنتاجه الفكري والمؤثرات التي تأثر بها، مجلة المناهل، العدد الثاني.

الجهيمي، حمد محمد(د.ت). العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين 9-5 هـ / 9-11 م.

خليل، فاضل إسماعيل (2005 م)؛ الرحلة في طلب الحديث، مجلة آداب البصرة، العدد 38.

الساهري، مزاحم علاوي محمد (2011م). حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15.

الشاوي، عدنان محمود عبد الغني (2013 م). حرية الإسلام بجنوب أفريقيا، مجلة التربية (جامعة تكريت)، العدد 13.

شترة، خير الدين (2016 م). المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي. دورية كان التاريخية، العدد 33.

علوي، حسن حافظي، (1990 م). التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في العصر الوسيط. مجلة المناهل، العدد 39.

علي، أبو ترعه(2013 م). الوجود الحضاري العربي الإسلامي في غرب أفريقيا. دورة كان التاريخية، العدد التاسع عشر.

غرايبة، خليف مصطفى (2009 م). الرحلات التجارية في التراث العربي الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين. دورية كان التاريخية، العدد الثالث.

الفيل، محمد رشيد (1979 م). أثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب. دورية الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد التاسع.

يحيى، حمزة (2010 م). ذهب السودان الغربي في أوج استغلاله خلال العصر الوسيط. مجلة المؤرخ، العدد السابع.